قدوة المجاهدين والمناضلين

■ الشيخ الدكتور فؤاد المقدادي*

{ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون* فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم و لا هم يحزنون* يستبشرون بنعمة من الله و فضل و أن الله لا يضيع اجر المؤمنين* الذين استجابوا الله و الرسول من بعد ما أصابهم القرح للّذين احسنوا منهم و اتقوا أجر عظيم* الذين لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً و قالوا حسبنا الله و نعم الوكيل} آل عمران ١٦٩-١٧٣.

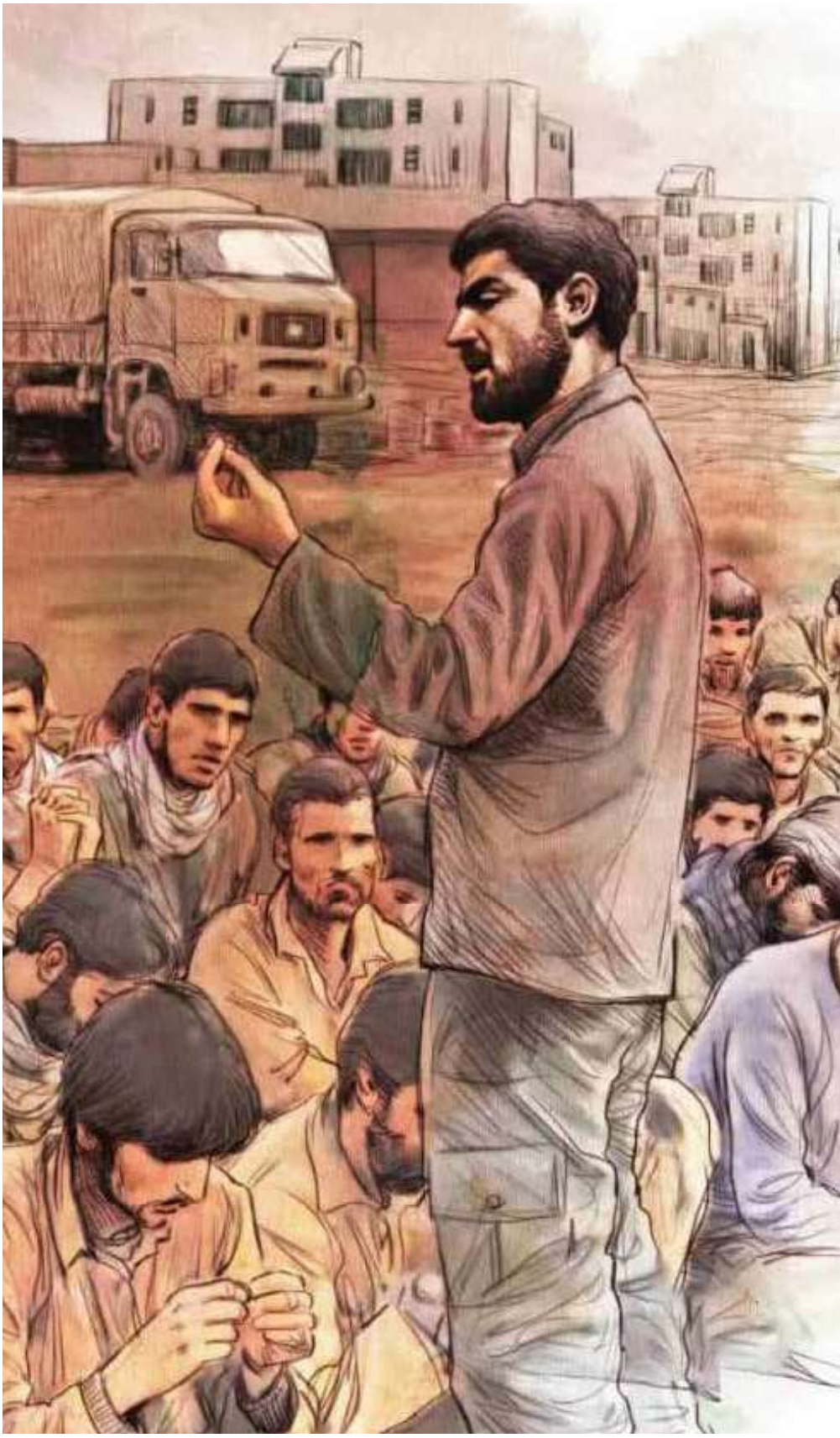

قليل من رحيق عبق القائد الحبيب الحاج قاسم سليمانى (رضوان الله عليه).

كانت إحدى مهمات الحرس الثورى الذى تأسس لحمايه الثورة الاسلامية فى ايران و الدفاع عنها هى رعاية و دعم حركات التحرر من الإستكبار العالمى لا سيما فى بلاد الإسلامية و الذى تطور فيما بعد ليشكل فيلقاً يُعنى بهذه المهمة سمي بفيلق القدس وذلك إنطلاقاً من البعد العالمي للنهضة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني (قدس) وخطابه لمستضعفي العالم بالنهوض والتحرر من ربقة الإستكبار العالمي وعلى رأسه الشيطان الأكبر أمريكا، ولم تكن مهمة فيلق القدس عسكرية محضة بل كانت مهمة شاملة لجميع جوانب التصدي للاستكبار العالمي سياسياً وثقافياً واجتماعياً وأخلاقاً لتكون الاساس البنيوي لأيّة قوة عسكرية مناهضة للإستكبار. ومن هذا المنطلق أصبح فيلق القدس عالمياً وتبعاً لذلك أصبح قائده المجاهد قاسم سليماني شخصية عالمية بكل أبعادها ولم تخلو من بصماته أغلب الساحات الساخنة واصبح الرائد في اهمها. من هنا ومن خلال متابعتي لهذا الدور الكبير عرفت الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني وذلك قبل سقوط نظام الطاغية صدام من خلال دوره في تأسيس وتطوير فيلق بدر قبل الإنتفاضة الشعبانية في العراق وبعدها، وكنت في حينها معاوناً لممثل الولي الفقيه سماحة آية الله الشيخ محسن الآراكي في فيلق بدر لحين إنتهاء الإنتفاضة الشعبانية.. أما بعد سقوط نظام الطاغية فكان لنا معه شأنٌ آخر.. فقد بدأت العلاقة العملية المباشرة به حين تشكيل لجنة لدراسة أوضاع العراق بعد إحتلاله من قبل الغزاة الأمريكان وتدميرهم للعراق بدل الإكتفاء بإسقاط حكومة الطاغية صدام، وبعد عودتنا وتقديم دراستنا له كان اللقاء التفصيلي بالقائد سليماني الذي وجدت فيه خصالاً يندر وجودها في قائدٍ آخر. فأنا لست ممن يقيّم عمق إيمانه وتقواه وشدة زهده وترابيته ولكنني أدركت مدى ذوبانه في الولاية وقيادة الإمام الخامنئي (دام ظله)

وحسّه الجهادي المرهف في كل جوانب عمله من خلال متابعته التفصيلية لكل ما يجري في العراق، وكان رجل المهمات الصعبة والحاسمة ولا أنسى ما قام به لفك الحصار عن مدينة النجف الأشرف الذى تزامن مع عوده آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) من رحلة العلاج خارج العراق، حيث وضع خطة إنقاذ المحاصرين في المدينة القديمة للنجف الأشرف وكلفني بالتعبئة الجماهيرية لها وإعداد البيان الذي تضمن مطالب هذه الجماهير والتحرك من بغداد وصولاً إلى النجف الأشرف والدخول إليها بالتزامن مع دخول آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) لفك الحصار.. فقد كانت هذه المهمة إحدى المحطات الحساسة في إحباط محاولة الغزاة الأمريكان الدخول إلى النجف الأشرف والفتكِ بأبنائها.

ومن المحطات المشهودة للقائد سليماني هو إهتمامه بالوحدة الإسلامية والتقريب بين مذاهبه، فكان يتاب بالدقة والإهتمام الكبير كل النشاطات في هذا المضمار لاسيما بعد تأسيس إتحاد علماء المسلمين في العراق الذي جمع أكثر من ٦٠٠ عالم من علماء السنة والشيعة في مؤتمرات ونشاطات وفعاليات وحدوية كان من ثمرتها عزل تنظيم القاعدة الإرهابي عن التمترس بأهل السنة حيث تمّ طرده من مناطقهم.. وعند تمكين الغزاة الأمريكان تنظيم داعش من احتلال مناطق ومدن كبرى في العراق، وعند تصدي المرجعية العليا في العراق وإصدار سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) فتوى الجهاد الكفائي فهم القائد الحاج سليماني ورفاقه أبعاد هذه الفتوى، فالكفاية في الجهاد ليس فقط في العدد بل بالعُدة والكفاءات القيادية والخبرات القتالية والحضور المباشر في الميدان، فكان على رأس من تنادى لها هو القائد سليماني فقدّم وبجسر جوي وبجسر بري السلاح النوعي والخبرات الاستشارية في القتال ورابط معهم في الميدان وانهى بتسديد الله وعونه مقولة داعش بفترة قياسية أبهرت الغزاة الامريكان وعملائهم وادخلت السرور والآطمئنان على العباد والبلاد وفي نفس سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني والامام السيد علي الخامنئي (دام ظلهما الشريف).. وهذا هو الذي جعل الإمام السيد السيستاني (دام ظله) يقول في تعزيته عند استشهاده ورفيق دربه الحاج ابومهدي المهندس بأنهم كانوا قادة الإنتصارات، ولعل سماحته عبّر بالانتصارات بصيغة الجمع لأنهما اصبحا ملهمين لمن بعدهم في تحقيق الإنتصارات المتوالية بإذن الله و تسديده.

ومن هنا ندرك ان القائد الحاج سليماني مدرسة في قيادة الإنتصارات بجميع أبعاد القيادة الجهادية الفكرية والسياسية والعسكرية، وهذا ما أشار إليه الإمام الخامنئي (دام ظله) عندما طلب تأسيس مؤسسة تُعنى بسيرته وأساليبه في العمل السياسي والجهادي وتجربته العسكرية وأخلاقه القيادية وروحه الإيمانية التواقة للتقرب إلى الله في كل ما يقوم به وعشقه للشهادة وعيشه ذكريات الأبدال الأبطال من رفاقه في الجهاد الذين سبقوه في الشهادة ولقاء الله ونيل رضوانه.

هذه المدرسة التي انطلقت من لهيب الجهاد في صد عدوان الطاغية صدام على الجمهورية الاسلامية في إيران شعباً ونظاماً، فهو قد وُلد من رحم ملاحم الجهاد ليمتد إلى الحواضر الإسلامية الساخنة في العراق وفلسطين ولبنان وأفغانستان وسوريا واليمن وترامت إلى أفريقيا واسيا بل و إلى أمريكا اللاتينية، حتى أصبح قدوة المجاهدين و المناضلين ضد الإستكبار العالمي، فلم تكن شهرته إعلامية إنما كانت من أرض الواقع والميدان التي نبأت عنه وعن جولاته الكبرى حتى أذهلت العدو وأسرت الصديق وأسست لرفاق دربه مدرسة الجهاد الكبرى التي لايحدها زمانٌ ولا مكان مما جعل الإعلام المعادي يُذْعنٌ لصولاته ويتسابق الإعلام الجهادي لنشر مدياته الجهادية الكبرى.

ولتأخذ أيضاً نموذجاً فريداً آخر لدوره الجهادي في العراق، فقد كان أول من لبّى نداء المرجعية في النجف الأشرف في الجهاد الكفائي بالقادة والسلاح والحضور جندياً متميزاً في الميدان يلوذُ به مجاهدو الحشد الشعبي كما يلوذ به قادة ومراتب الجيش العراقي والشرطة الإتحادية لاسيما عندما يرونه عقلاً مخططاً ومقداماً في الصفوف الأولى للمقاتلين ويشعرون أنه ملاذهم عندما يداهمهم الخطر، ونماذج ذلك كثيرة نُشير إلى واحدة منها وهي معضلة منطقة جرف الصخر التي كانت من أصعب المناطق جغرافياً وديموغرافياً حيث أن أغلب سكانها هم حواضن لقادة تنظيم داعش كما أنها إمتداد لصحراء الأنبار التي تختبئ فيها الخلايا الخطرة لداعش.. ومنها تصدّر مئآت المفخخات والعناصر الإجرامية لمناطق الارتباط بين بغداد والحلة والنجف الأشرف وكربلاء المقدسة، والتي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى، فكان رجل حل هذه المعضلة هو القائد سليماني حيث وضع خطة محكمة لإقتحامها رغم صعوبتها الجغرافية لإحتوائها على بحيرات مائية وكثافة في الإشجار والنخيل و وعورة في تضاريسها فكان النصر وبه تحولت من جرف الصخر إلى جرف النصر وانتهت بؤرة الإرهاب فيها. إن هذه المحطات الفريدة بالذات تحتاج إلى توثيق لتكون مرجعاً موسوعياً يدرسه القادة والأركان في العمل العسكري وفي أخلاقية القائد في التواصل مع جنده وطرق أكتشاف خطط العدو وسبل دحره.. وأمثال ذلك نجده في دوره الواسع في لبنان وسوريا واليمن وفلسطين وغيرها.

لقد كان القائد الحاج سليماني قدوة فريدة وأسوةٌ متألقة. وليس إعتباطاً أتخاذ رأس الشيطان الأكبر ترامب قراره باغتياله وبهذه الطريقة الجبانة التي تعبر عن مدى عجزه وعجز دولته وجيوشه وهزيمتهم أمام هذا الطود الشامخ في سوح الجهاد وميدان القتال، بل هُزْم ترامب وكيانه المستكبر باغتيال القائد سليماني لأن دمه الطاهر واشلائه الممزقة متأسياً بأصحاب الحسين (ع) أمام غدر بني أمية وحقدهم، فأنتفضت الملايين من جماهير الشعبين العراقي والأيراني لتشييعه

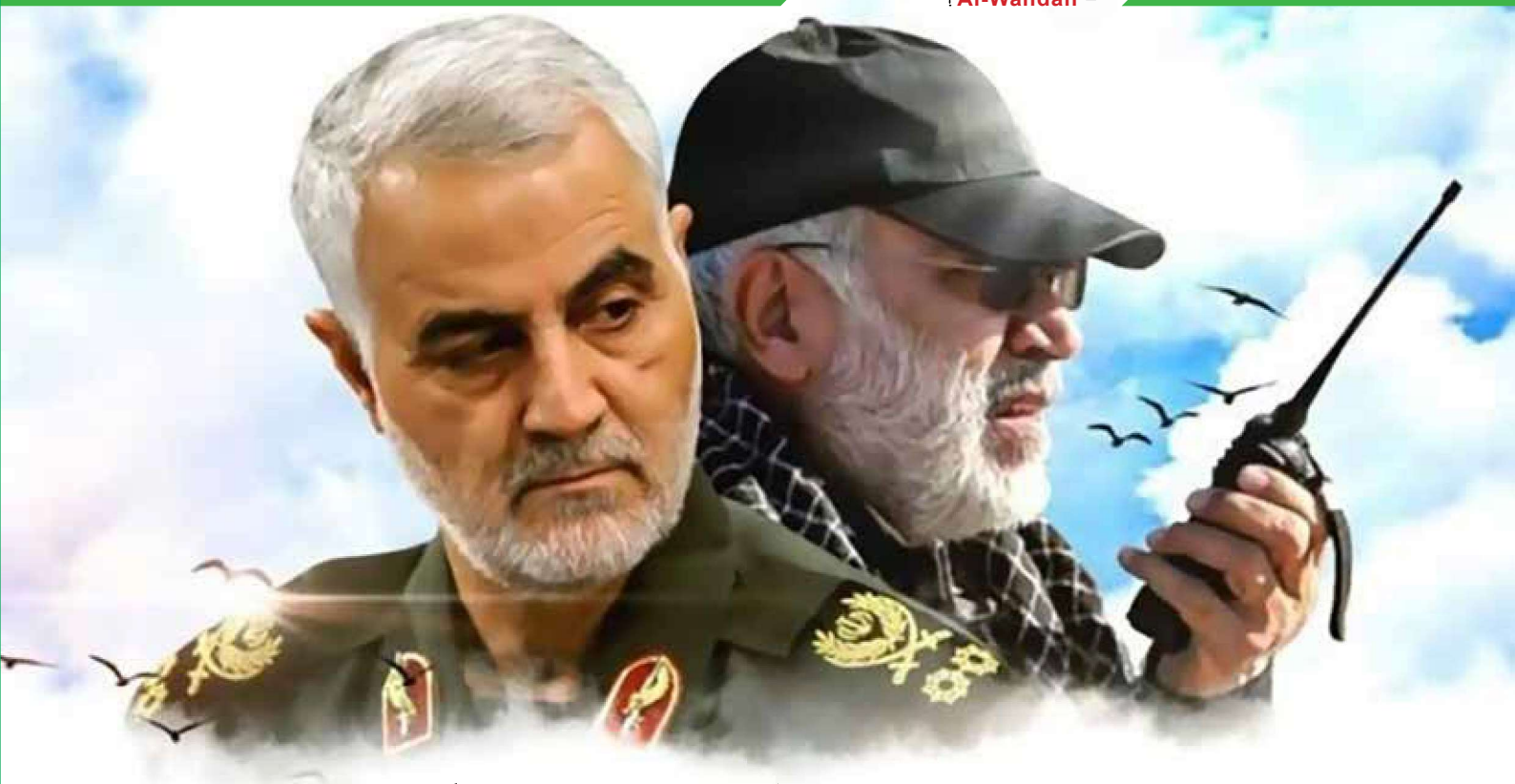

والمهندس ورفاقهم في بغداد والكاظمية وكربلاء المقدستين والنجف الأشرف مروراً بمحافظات الجنوب والأهواز وطهران وقم المقدسة وكرمان التي وريَ بقايا جسده الممزق فيها، وبهذا التشييع المليوني جدد الشعبان العراقي والإيراني العزم على أخذ الثأر المقدس والتنادي للقرار التأريخي الحاسم الذي أتخذه الإمام السيد علي الخامنئي (دام ظله) بإخراج الغزاة الأمريكان من العراق بل وإخراجهم أذلاء من المنطقة بأسرها.

ولايفوتني في الختام أن أشير إلى بعض ذكرياتي وخواطري مع القائد الشهيد سليماني.. لقد كان الحاج رضوان الله عليه حنوناً وعطوفاً يرعى كل من يعمل معه وتحت قيادته فهو يزن المهمات بميزان الإنجاز الخالص لله سبحانه وتعالى.. فكنت كلما عُدت إلى ايران بعد جولات العمل في العراق وما يرافقها من نصب وتعب وجهد وأحياناً مرض كان يصرّ على توفير كل مستلزمات الراحة وإعادة الحيوية قبل اللقاء به.. وفي أحد المرات كلفني بمهمة حسّاسة وعدت بعد إنجازها وبعد استراحة كالعادة استقبلني في مكتبه وقدم لي هدية ثمينة جداً بشكلها ومضمونها وقال لي لم أقدم هذه الهدية إلّا إلى اثنين وأنت الثالث، وقد كانت الهدية عبارة عن ثلاثة مجلدات كبيرة الحجم مُذهبة بأوراقها الصقيلة اللامعة تحوي صفحات من مخطوطات ملونة بألوانٍ جميلة للقرآن الكريم يعود بعضها للإمام علي (ع) وبعض الائمة (ع) وغيرها من فنون الخط القرآني الجميل التي تعود لقرون وعقود من الزمن فكانت هذه الهدية من أعزّ ما أحتفظت به وكانت تشحذ ذهني دائماً بجميل ذكرياتي عن هذا القائد الفذّ.

وآخر خواطري عنه يوم رنَّ جرس الجوال بعد منتصف الليل ليخبرني أحد الاعزاء أن يد الغدر والإجرام قد طالت القائد العزيز سليماني فيسقط شهيداً ومعه رفيق دربه المهندس ومن معهما بصواريخ طائرة مسيرة على طريق مطار بغداد وعند سماعي الخبر هرعت إلى التلفاز وأتصلت بالمقربين من الحاج فأكدوا لي الخبر فأنهملت دموعي وأرهقني السهر فغفوت وإذا بي أرى العزيز سليماني في منامي بلباسه البسيجي البسيط على حافة نهر دجلة أمام السفارة الأمريكية وكر التجسس في بغداد، وكان في حينها قد نصب المجاهدون خيم الإعتصام أمامها إحتجاجاً على ضرب الطائرات الإمريكية مجاهدي الحشد الشعبي في القائم والذين تم تشييعهم في ذلك اليوم، وهنا وانا في عالم الرؤيا تشبثت بالحاج قاسم قائلاً له لَم قررت تركنا ونحن بأمس الحاجة اليك فقال لي لم ولن اترككم فأنا معكم ثم أخذني ليعرفني بشخص يرتدي لباس البسيج أيضاً وقال لي هذا معكم وأنا معكم ثم نادى آخر و كان بلباسٍ مدني وقال لي هذا أيضاً أمعكم.. وهنا توجه الى خيم الإعتصام وقال لي أرفعوا هذه الخيام وأجمعوها فقد مضى أمرها فالمرحلة القادمة حاسمةٌ تقتضي غير ذلك، وبعدها نهضت من نومي وأنهمرت دموعي كثيراً وتمنيت أن ألحق بركابه بلطف الله تعالى ومنه الأزلي.. فسلام على الحاج الشهيد القائد سليماني يوم ولد صفحة بيضاء ويوم عاش مجاهداً في سوح الوغى ويوم أستشهد مظلوماً مقطع الأوصال و يوم يُبعث مضرجاً بدمائه مع الحسين وجده محمد (ص) وأبنائه الأئمة الطاهرين.

والحمد لله رب العالمين

*** أمين عام اتحاد علماء المسلمين في العراق.**